

الجنة في آيات سورة الغاشية

قال تعالى :

(وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة) الغاشية : الآيات: 16_8

"ناعمة يومئذ وجوه" &

وهذا وصف آخر، ناعم لوجوه أهل الجنة علاوة على أنها وجوه مسفرة، ضاحكة مستبشرة، فهي في هذا اليوم - يوم القيامة - أيضا وجوه ناعمة، لا يرهقها قطر ولا ذل، فهي وجوه ذات حسن وبهجة، نتيجة ما يلقونه في الجنة من نعيم وتكريم.. فأثر النعيم يصدقه الوجه ولما يكذبه، ورغد العيش لا يمكن تجاهله..

فهم في عيش كريم ويغدق عليهم من شتى أنواع الملذات والنعيم، وهذا كله ينعكس على وجوههم فيعطونها رونقا ونعومة وحسن، فتبدوا وضاعة وناعمة ومشرقة، وعلى صورة القمر ليلة البدر.

جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء أضاعه...على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء".: ونعومة الوجوه لا تقتصر على رغد العيش إنما أيضا في الراحة النفسية ومتعتها الروحية من خلال الشعور بالرفعة والرضا :

"راضية لسعيها" &

فأصحاب الوجوه الناعمة اليوم راضون ويحسون الحس الروحي بمزية كل حرف من حروف الرضى...فهم قد رضوا بما قدموا من أعمال بعد أن رأوا رضا الله تعالى عنها، فالسعي واصل، والثواب والرضا حاصل، فهل هناك أجل من رضى الله الوهاب الثواب؟ وهل يوجد بعد ثواب الجنة شيء أسمه ثواب؟ وكيف لا يكون هناك رضى وهم :

"عالية جنة في" &

فهي جنة عالية بدرجاتها، عالية في ذاتها، مرتفعة عن الكافرين وعن كل رجس وذنس، فهم فيها وبرفعتها في الغرفات آمنون...ولعلوهم ورفعتهم أثر خاص في أنفسهم وحسهم، فهم يحسون ويدركون نعيم التكريم في هذا المقام الكريم الرضيع. أخرج أبو يعلى بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة الرضيعة فما يبلغها بعمل، فما زال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغها" &

والجنة مع علو شأنها ومكانتها، فإنها أيضا على درجات متفاوتة فيما بينها من حيث العلو والرفعة والقدر والمنزلة، ويكون المؤمن فيها في الدرجة التي تتناسب مع عمله في الدنيا ودرجة إيمانه.

أخرج ابن المبارك عن أبي المتوكل الناجي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره، فيلمع له برق يكاد يخطف بصره، فيفزع من ذلك فيقول :

ما هذا ؟

فيقال : هذا نور أخيك فلان.

فيقول : أخي فلان، كنا نعمل بالدنيا جميعا، وقد فضل علي هكذا ؟

فيقال له : إنه كان أفضل منك عملاً، ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى ".

ورسول الله صلى الله عليه وسلم، كان حريص على أن تكون أمته من أصحاب الدرجات المعلى في هذه الجنة العالية، لذا فقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر من إرشادهم إلى الطرق التي تؤدي بهم إلى نيل تلك الدرجات العلى من الجنة.

أخرج الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ "

قالوا : بلى يا رسول الله.

قال : " إسباغ الموضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ".

واخرج الحاكم عن أبي كعب، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من سره أن يشرف له المنيان وترفع له الدرجات، فليعف عن من ظلمه، ويعطي من حرمه ويصل من قطعه".

واخرج الترمذي والحاكم والمبيهقي، عن عباد بن الصامت رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والمفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألت الله فاسألوه المفردوس".

وفي العلو والرفعة ترفع عن لغو القول :

"لأغية فيها تسمع لا"

فالجنة كما هي عالية في نزلها ومنزلتها فهي أيضا عالية بسمو أهلها ورفعة ما تحويه في طياتها، فليس في الجنة فحش أو بذي قول أو بغي حديث، وليس فيها غش أو دنس أو تلوين حقيقة، وليس فيها بهت أو غيبة، فقلوب أصحاب الجنة صادية وبيئة.. لا غل فيها، والغل منها منزوع... وهم إخواناً على سرر متقابلين، يطيب لهم السمر والكلام، بطيب ما في الكلام من طيب وإكرام.. وفي هذا المعنى ما يظهر إن أهل الجنة يعيشون في جو يسوده الأمن والسلام، وروح المحبة والألفة والشعور بالرضا وما فيه من الهدوء والسكون، وهذا يدل على اكتمال سبل العيش الكريم والهائئ الخالي من كل شائبة أو منغص، سواء كبر أو قل وهذا ما يعطيهم المتعة والاستمتاع الكامل والخالص بنعيم الجنة، والسعادة الأبدية الخالدة التي لا تنتهي بزمان، ولما تنحصر بمكان. والسمر وطيب الكلام قد يكون في الحقول والبساتين وعلى ضفاف الأنهار والعيون الجارية :

"جارية عين فيها"

والعين الجارية في الجنة ليست واحدة، وهي هنا على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، وذكرها هنا أيضا بصيغة المنكرة دون الإشارة إلى كنهها وسرها، وذلك يطلق حد الوصف والتصوير لما هي عليه من صفة الجمال المفريد والأخاذ. ويكفي هنا أن نتصور جمال إحدى العيون الجارية في هذا الدنيا - مع حفظ المقام بين ما في الجنة وبين ما في الدنيا - وهي تتدفق بالمياه العذبة المساتعة للشاربين. والبسط من حولها وعلى ضفافها ممدودة ويعلوها روادها العاشقين للجمال وسحر الطبيعة الخلاب، فترى هذا يلقي بصنارته، وهذا يجدف بقاربه... وذلك قد أشعل منقلبه وموقده... وأولئك الفتية قد ابتداءوا اللعبة.. وصوت المياه الرتيب يملأ النفوس جمالا ومنتعة.. وعبير الزهور الممزوج بنسمات المياه العذبة يضيء للجلسة نكهة أخرى ورقه.. وكل هذا الجمال وهذا السحر من تلك العين الجارية.. فماذا لو كانت هذه العين متلونة.. مره من لبن وأخرى من عسل، وثالثة من خمر، ورابعة من زنجبيل، وخامسة إلى أبعد حد..

قال تعالى:

وأأنهار للشاربين لذة خمر من وأنهار طعمه يتغير لم لبن من وأنهار آسن غير ماء من أنهار فيها الممتقون وعد التي الجنة مثل" من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم" سورة محمد: الآية 15:

ثم إن في الجنة عين تسمى "تسليم" تنبع من عليين، يشرب منها عباد الله المقربون صرف، وتمزج لسائر أهل الجنة. ولو أن مقدار كأس منها مزجت في بحور الدنيا فشرب أهلها منها لأغنتهم عن الطعام والشراب من طيب طعمها ولذيذ شربها. أخرج سعيد بن منصور، والبيهقي عن ابن عباس قال: "التسليم، اشرف طعام شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويمزج منه لأصحاب اليمين. وتلون النعيم يوحى بكرم الضيافة كما يوحى برفعة وارتفاع التقدير :

"مرفوعة سرر فيها"

وهذا ما يشابه أفعال أهل الدنيا من أصحاب الكرم، فإذا ما حل بهم زائر كريم، فإنهم يختارون له المكان المشرف والمرتفع، والملائق من بيوتهم، ويضعون له الفراش فوق الفراش، والوسادة فوق الوسادة... زيادة ومتعه له، ويحرصون على راحته كي تطيب له الجلسة وأنسها.

وارتفاع السرر في الجنة فيه رفعة شأن لأهلها، لما في معنى الارتفاع من سمو وتنزيه وطهارة.

وهذه السرر أيضا مزينة بالحلي، والأنواع الفاخرة المنفيسة من الزبرجد والدر والياقوت إضافة إلى أنها مشبكه بالذهب والفضة التي تلوها فرش بطانتها من إستبرق، وهذه الفرش جاء وصفها بأنها مرفوعة كما في قوله تعالى "B> p> و m> k> r> B> " سورة الواقعة: الآية: 34، وهي بذلك تتناسب مع هذه السرر.

قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت.

ومع ارتفاع هذه السرر يستطيع أهل الجنة أن ينظروا إلى أقصى حد من ملكهم ونعيمهم الذي أولاهم الله إياه مما يزيد في متعتهم الحسية والدروحية، وهذه المتعة إذا ما أردنا المقاربة، فهي تشبه متعة اصحاب الأملاك والبساتين الواسعة وهم ينظرون إلى جمال، وخضرة، ونضرة، وسعة هذه الأملاك من خلال تله أو جبل يحاذي ملكهم، وقد تزيد متعتهم أكثر إذا ما نظروا إليها من خلال المطايرة. ولما تعددت درجات الجنة من حيث السعة والرفعة والارتفاع، تعددت سعة ورفعة وارتفاع هذه السرر فظهرت كأنها سرر بعضها فوق بعض.

ومع ارتفاع السرر تظهر متعة أخرى لها مزية خاصة، فهذه السرر تتواضع وتدنو من صاحبها إذا ما أراد الجلوس أو الاتكاء عليها، وبخلاف المصعد الكهربائي المعروف في الدنيا.

ثم يمضي النعيم خطوة أبعد لنجد أن كل شيء في الجنة محدود وموضوع ومهيأ بما يأتي عليه الذوق والمحس :

"مبثوثة وزرابي * مصفوفة ونمارق * موضوعة وأكواب؛

المأكواب : أنية الشراب، أو الأقداح.

نمارق : وسائد ومرافق يتكأ عليها ومفردتها نمرقة.

زرابي : البسط الفاخرة العريضة، وتشمل ما يعرف بالسجاجيد.

وأكواب الشراب معدة ومملوغة، يشربون منها كيفما شاءوا، فهي كثيرة ومتوفرة وموضوعة في كل مكان، على ضفاف الأنهار المتنوعة، والعيون الجارية وبين أيدي الغلمان، ويطاق بها عليهم، وفي الأباريق التي تأتي إليهم دون أن يكدوا في الوصول إليها...

أخرج ابن أبي الدنيا بسند جيد، عن أبي امامة، قال :

أن الرجل من أهل الجنة ليشتهي من شراب الجنة، فيجئ الأبريق، فيقع في يده، فيشرب، ثم يعود إلى مكانه.

ولما عجب في ذلك، فهم يعيشون في هناء ورغد العيش وحياتهم تسير بهم كما يشتهون، وكلها يسر وسهولة، ورتابة وجمال .

والجمال أيضاً يجده في النمارق المصفوفة الواحدة تلو الأخرى في صفوف ناعمة .. نعومة مشهد واتكأ. وليس هذا فحسب بل أن نعومة المشهد تطول وتمتد لتشمل نعومة وجمال المزربي المبتوثة المتناثرة والمنشورة أمام كل صف من صفوف النمارق الناعمة.

وإذا ما اجتمعت النمارق وجمال صفوها والزرابي وأناقته بثها، طاب الجلوس والاتكاء لأهل الجنة عليها، فيطيب لهم طيب الشراب

والمحديث، فيتسامرون وهم متكئين دون أن يحدوهم ملل أو يساورهم كلل.

ثم إن جمال النعيم لا يأتي عليه المحس ويدركه الوصف إلا بحدود ما يأتي عليه حسن ووصف أهل الدنيا الذي لا يغادر حسهم ووصفهم له حدود هذه السماء وهذه الأرض.

وهذا الإحساس لا يدركه إلا أهل الجنة الذين هم في خضم الجمال والنعيم، لأنهم هم أصحاب المدارك التي تستوعب لذة الجمال

والنعيم، ولذة الإكرام والتكريم .

(عن كتاب الجنة في القرآن الكريم: ص417/ بكر عبد الحافظ الخليفات _ دار المکتب العلمیة _ بیروت _ لبنان.)